

## اسمعوا صيحة الحق

للدكتور زكي مبارك

—

أخي الأستاذ الزيات :

ما هذا الذي نشرته في مجلتك لبعض أدباء لبنان ؟ وكيف  
جاز أن تقول : « إن في الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن  
جهة خطأه » وهو بعيد كل البعد من الصواب ؟  
أفي الحق أن أدباء لبنان ينافسون أدباء مصر ؟  
ليت ذلك كان صحيحاً . فقد شقينا من غير طائل في البحث  
عن المنافسين حتى خشينا أن تفتر عرائنا لقلّة من نساوول وتقاتل  
من أقطاب البيان

إن ذلك الأديب اللبناني دلنا على أن العقل في بعض البيئات  
الأدبية في لبنان لا يزال في طور الطفولة البريئة ، وكل شيء من  
الأطفال الأبرياء مقبول

ألم يقل إن مصر لم يصدر فيها كتاب واحد ذو قيمة لمؤلف  
مصرى صميم ؟

فإن لم يكن هذا الحكم من أحكام الأطفال الأبرياء ، فكيف  
تكون أحكام الأطفال الأبرياء ؟

\*\*\*

ولنفرض أيها الأخ أن مصر ليس لها وجود أدبي كما يتوهم  
بعض أهل لبنان ، فهل لكم أن تدلوني على الأسباب الصحيحة  
التي قضت بأن يبذل المستعمرون ما يبذلون ليشوهوا سمعة مصر  
في الأقطار العربية ؟

هل لكم أن تدلوني على الأسباب التي قضت بأن يشق  
المستعمرون في الحيلولة بين مصر وبين الأقطار العربية ؟

إن المستعمرين يعرفون أن مطامعهم في الشرق لن تتحقق  
إلا يوم تضعف اللغة العربية ويضعف سحر المصحف ؛ وهم يعرفون  
أن مصر تستقتل في سبيل اللغة العربية وفي سبيل المصحف ؛  
ولبعض ساستهم الكبار كلمة مأتورة وصلت إلى أسماع من في القبور

وإن لم تصل إلى آذان بعض الأحياء !

وأنا لا أنهم من يشوهون سمعة مصر الأدبية بأنهم يخدمون  
بعض الأغراض الشيوعية أو الاستعمارية ، فدهنى لا يسبح أن  
يكون فلان وفلان من أهل الضلال ؛ ولكني أرجو أن يتنبه  
فلان وأشياع فلان إلى أنهم يخدمون المستعمرين من حيث  
لا يشعرون . والنفلة قد تكون أجبج من الإثم الصريح

وما الذي يغم بعض أدباء لبنان من الطعن في الثقافة المصرية؟  
أيستطيعون أن يدعوا أن في مقدورهم أن يمدوا أهل بلادهم  
بكل ما تتطلع إليه الأذواق والمقول ؟

أيستطيعون أن يدعوا أن أهل بلادهم من القناعة والزهد  
بمبحث يكتفون بما يصدر في لبنان من مؤلفات وجرائد ومجلات ؟  
أيستطيعون أن يدعوا أن أدباء مصر لا يملكون من وسائل  
العناد والقطرسة ما يملك بعض أدباء لبنان يوم يستمر الجدل ؟

أيستطيعون أن يدعوا أننا سنصفح أهد الدهر عن تطاول  
بعض الناس فلا نجزيهم عقوباً بمقوت ؟

\*\*\*

لقد زرت لبنان ، فماذا رأيت ؟

رأيت الطبيعة ورأيت الناس ، وبعز علي أن أصرح بأن بعض  
الناس في لبنان يصدون النفوس عن التطلع إلى جمال الطبيعة في لبنان .  
وما الذي يهمننا من الجبل وهو صامت لا ينطق ؟ ما الذي يهمننا  
من جبل لبنان يوم يصيح أن أبناءه يؤذون الروبة جاهلين أو عامدين ؟  
لقد تعبنتني إحدى مجلاتهم وأنا في بغداد فكنت تقول :

« سفير الروبة المصرية في العراق يظن صدر لبنان »

وقد كتبت ردّاً مفحماً على ذلك المقال الجائر الظلوم ، ثم  
طوبته ترفقاً بلبنان الذي أرجو أن يظل بإذن الله من حصون  
اللغة العربية . وأنا مستعد لنشر ذلك المقال إن أذن أصدقائي  
الكرام من أهل لبنان

إن أدباء مصر يملكون من الثروة الدوقية ما لا يملك بعض  
الناس ، فأدباء مصر هم الذين يشيدون بمحاسن الأقطار العربية ،  
وهم الذين يصفون الجمال على كل بلد يحلون فيه ؛ وإلى أقلامهم  
يرجع السحر الذي يتمتع به جبل لبنان

هل ينكر أحد أن الدكتور طه حسين رجل موهوب  
وأن صوته وصل إلى المشرقين ؟

هل ينكر أحد أن الدكتور هيكل من أعظم المتحدثين  
عن شخصية الرسول ؟

هل ينكر أحد أن الأستاذ احمد أمين وضع أحجاراً متينة  
في تاريخ الحضارة الإسلامية ؟

هل ينكر أحد أن لطفي جعة له أبحاث وفصول تمدت من الروائع ؟  
ومن هو الأديب الذي يسمح له ضميره بأن يتجاهل أقدار  
هؤلاء الرجال ؟

قد يتطوع أحدكم فيبعت ما كنتُ قلتُه في طه حسين واحمد أمين  
وأنا أعرف أني قلت في هذين الرجلين ما قلت باسم التقدير  
الأدبي ، ولكنني مع ذلك أعرف أنهما من أقطاب هذا العصر ،  
وليس لهما نظير في لبنان أو غير لبنان ، وسيكون لهذين الرجلين  
صدى مسموع في الأقطار العربية يمتد إلى أجيال وأجيال

\*\*\*

أحب أن أعرف لحساب من يتعب بعض الناس أنفسهم  
في النض من الثقافة المصرية ؟ فمن المستحيل أن يكون هذا التعامل  
خالصاً لوجه الله والأدب . ومن البعيد أن تكون تلك النزوات  
بريئة من شوائب الأغراض

لقد آن أن نعرف أن الاستعمار يغزونا من كل جانب .  
آن أن نعرف أن الاستعمار يريد أن يتخلص أولاً من تفوق مصر  
في خدمة اللغة العربية ، لأنه يفهم جيداً أن سيطرة الثقافة المصرية  
تقوم بفضل اللغة العربية ، وهو يرجو أن يخرس لسان العرب  
لتحتل مكانه السنة روما ولندن وباريس

الاستعمار يفهم أن القاهرة صارت محور الحركة العربية ،  
ففيها تُنمقد المؤتمرات ، وفيها يلتقي الرب بعضهم مع بعض ،  
وفيها تحل المضلات ، وإليها يرجع الأمر في قض الخصومات  
العربية ، وهو من أجل ذلك يبذل جهده الأتم في تنفير العرب  
من الثقة بالأمة المصرية

فكيف يغفل بعض إخواننا في لبنان عن هذه الحقائق ؟  
كيف ينسى بعض إخواننا في لبنان أن للمستعمرين مكرراً  
يخني على إبليس ؟

وأنا مع ذلك أشهد بأننا نرد إلى أهل لبنان بعض ما طوقوا  
به أعناقنا من وداد : فلمصر في لبنان مكانة عالية . وفي أدياب لبنان  
رجال أبرار لا يذكرون مصر بغير الجميل ؟ ومن أجل هؤلاء  
الرجال الأبرار تتسع صدورنا لما نسمع من فلان وأشياح فلان ،  
لأننا نعرف أن المرء لا يمتل أمته حين يخطئ ، وإنما يمتلها  
حين يصيب

ثم ماذا ؟

قالوا : إن مصر مدينة في بعض نشاطها الأدبي إلى ناس كان  
أجدادهم من لبنان

وهذا حق

ولكني أتحداكم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد  
ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية

أتحداكم أن تثبتوا أن في مقدوركم أن تنقلوا إخوانكم في مصر  
إلى مرابهم في لبنان

إن الأدياب السوريين واللبنانيين لم يذوقوا طعم المجد الأدبي  
إلا بعد أن شربوا ماء النيل ، وفلان وأشياح فلان سيظلون من  
التكرات إلى أن يذوقوا ماء النيل

فتمالوا إلينا أيها الإخوان لنحوكم إلى رجال عظام ، يسيطرون  
على الأدب والتاريخ

إن القاهرة تصنع بمقول العرب في مصر الحديث ما كانت  
تصنع بغداد في عصر بني العباس ؛ فإن استطعم طمس نور الشمس  
فلمضوا في عنادكم آمين !

أنتشم مصر في لبنان وبفضل مصر تنبه العرب إلى جمال  
لبنان ؟

\*\*\*

ثم ماذا ؟

ثم زعم فلان وأشياح فلان أن أمثال الدكتور طه حسين  
والدكتور هيكل والأستاذ احمد أمين والأستاذ لطفي جعة لم يصنعوا  
شيئاً ، وأنهم في مؤلفاتهم لم يكونوا مبتكرين

فهل يستطيع فلان وأشياح فلان أن ينكروا أن هؤلاء  
الرجال فضلاً عظيماً في نشر الثقافة الأدبية والعلمية والدوقية ؟

عنا إلى غير معاد؟

هل تصدقون أنى طربت  
حين رأيتنى أشتم في بعض  
مجلاتكم باللغة العربية لا باللغة  
الفرنسية؟

وأؤكد لكم أيها الإخوان  
أنى لا أنصدق عليكم بهذا  
العطف الصادق، فلو جمع  
ما نُشر في جرائدكم ومجلاتكم من  
الدعوة إلى الثقة بمصر لتسكون  
منه محمول أدبى نفيس. ونحن  
نعرف منزلتنا في قلوبكم،  
ونحرص على أن تبقوا أصدقاء  
أوفياء، ولكنكم تعرفون أن  
الطبيعة الإنسانية يتلب عليها  
الضعف، فهي قد تذكر السيئات  
وتنسى الحسنات. فأرجوكم بالله  
ألا تحبطوا أعمالكم بمظاهر  
العدو والجحود، فقد تلقون منا  
من يقابل العدوان بالعدوان

\*\*\*

أما بعد فهذه كلمة صريحة  
أردت بها وجه الحق، وما  
أنكر أن فيها بدوات لا تخلو  
من خشونة وعنف، ولكن  
يعزبني أنى كنت فيها غلماً  
كل الإخلاص  
ولكم أن تتفوا بأن مصر  
لن تقف إلا حيث يحبون،  
ولن تروا منها غير الصدق  
والوفاء.

زكى مبارك

## من برحمتك يا ذا الجلال والإكرام

هل ينتظر اللغة العربية والأدب العربي الحديث في مصر  
مستقبل سعيد؟ لقد بدرت البوادر بشروع بعض الأجانب  
في الإقبال على تعلم اللغة العربية والاهتمام بمعرفة كتاب مصر  
البارزين. من رأيت أن الحياة لن تدب في هذه اللغة وهذا  
الأدب إلا إذا ظفر بقرء كثيرين من هذا العنصر النشط  
الثقف. وإنى لا أتخيل اليوم الذى يتم فيه ضم أجانب مصر  
أو أغلبهم إلى حظيرة قرائنا في لغتنا. هؤلاء الأجانب الذين  
يعدون القراءة غذاء ذهنياً له ضرورته في حياتهم اليومية،  
شأنه في ذلك شأن الحاجات الأولية؛ هؤلاء الآلاف القليلة  
من الأجانب الذين استطاعوا أن يكفوا لرواج حوانيت  
الكتب الأجنبية التى لا يخلو منها شارع كبير في أى مدينة  
كبيرة من مدن هذه الدولة العربية اللغوية؛ هؤلاء النفر الذين  
استطاعوا أن ينشئوا لأنفسهم صحفاً ومجلات بلغاتهم المختلفة  
وأن يضمنوا لها حياة وازدهاراً. ترى ما الذى يحدث لو أن  
هؤلاء فهموا أخيراً أن استقلال مصر وسيادتها مناه  
سيادة لغتها وآدابها وفنونها على الأقل فوق أرضها وفي  
حدود بلادها، وأن الخير والكياسة والمصلحة تقضى عليهم  
أن يكفوا عن تجاهل لغة الدولة وأن يعيشوا بيننا كما يعيش  
كل أجنبي في دولة محترمة، يُعنى بتعلم لغتها والاطلاع على  
أدبها ومسيرة الحياة الذهنية والاجتماعية فيها؟ لا ريب  
عندى، لو وقع ذلك الحدث، في أن أدبنا سيتغير ويتطور  
في مثل لمح البصر تطورات تثير الدهشة والعجب. ليس فقط  
لأن نتاج فكرنا سيرتفع شأنه في السوق، بل لأنه سيرتفع  
في ذاته من حيث الصنف والقيمة. فإن القارى الجيد يخلق  
الكاتب الجيد، و«الزبون» المحترم يوجد الحانوت «المحترم».  
لكن... كيف نحمل الأجانب على ارتياد «حانوتنا»  
الفكرى وأكثرهم قد استقرت في نفسه بغير علة فكرة  
الاستخفاف بلغتنا؟ ما هى الوسائل التى يبنى أن تتخذها  
لترع هذه الفكرة عنهم وترغيبهم في بضاعتنا؟ هذا سؤال  
مطروح على القراء الثقفين.

ترغيبه الكبير

كيف يجهل بعض إخواننا  
في لبنان أن تلك الحركة قد  
تسوق أهل مصر إلى نفض  
أيديهم من صداقة لبنان؟

وهل يظنون أن أهل مصر  
من الملائكة وأنهم لا يعرفون  
في جميع الأحوال غير الصصح  
الجميل؟

أرجو أن يعرف بعض  
إخواننا في لبنان أننا نلاق  
كثيراً من المنت والمشقة في  
تبيد ما يحيطون به أغراضهم  
من ظلمات وشبهات.

أرجو أن يعرفوا أن قالة  
السوء قد تطوَّق أعناقهم إذا  
فكرت الصحافة المصرية في  
دفع ما يوجهون إلى مصر من  
زور وبهتان

أرجو أن تعرفوا جميعاً أن  
يد الله مع الجماعة. أرجو أن  
تعرفوا أن العروبة تستطيع أن  
تنسى أن في الدنيا بلداً اسمه  
لبنان يوم تثق بأنه يضع  
الأشواك في طريق الوحدة  
العربية، ولكن ذلك اليوم  
سيكون مشتوماً لأن العرب  
يؤذيهم أن يضيع لبنان

هل تصدقون أنى دافعت  
عنكم في دمشق وبغداد؟

هل تصدقون أن الحزن  
يفعم قلبى كلما تذكرت أن  
الدسائس الاستعمارية قد تبعدكم